المشروع التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

(الأسس والأهداف)

الأستاذ الدكتور: نورالدين زمام ، جامعة بسكرة، الجزائر

الباحث: سمير أبيش، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

تمثل التجربة التربوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إحدى أهم التجارب التربوية التى شهدتها الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسى، ولعبت دورا بارزا في ترسيخ مقومات الشخصية الجزائرية من خلال الأسس التى بنيت عليها والأهداف التي كانت تسعي إلى تحقيقها.

ويهدف هذا المقال إلى معرفة الأسس العامة التى جعلتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منطلقا في بناء مشروعها التربوي، والأهداف التى سعت إلى تحقيقها داخل المجتمع الجزائري.

Abstract:

The educational experience of the Algerian Muslim Ulemas is one of the important educational experiences which, during the colonial period, played a decisive role in the consolidation of the Algerian personality through its moral and intellectual foundations and the objectives laid down.

This article aims to shed light on the foundations of the educational project of the Oulémas and the objectives traced in its reforming enterprise.

مقدّمة:

شهدت الجزائر خلال ثلاثينيات القرن الماضي ميلاد تجربة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كنوع من رد الفعل الطبيعي على المشروع الاستعماري الذي مارسته الإدارة الفرنسية بهدف القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية.

وقد أدّت هذه الجمعية دورا بارزا في الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية، وإعادة ترسيخها بين أفراد المجتمع الجزائري من خلال الاعتماد على مشروع تربوي متكامل تأسس بفضل فهم عميق لواقع هذا المجتمع وخصوصياته الثقافية والاجتماعية حيث اقتنع العلماء بأن الانطلاق من الخصوصية الثقافية والاجتماعية شرط أساسي لنجاح أي مشروع اجتماعي يمثل أهمية مشروعهم، ولذلك صممت هذه الرؤية المرجعية، وشرعت في تجسيدها على ارض الواقع ضمن مشروع مدروس.

وعليه، فماهي ملامح وطبيعة هذه الأسس التي بنت عليها مشروعها التربوي؟ وما هي الأهداف التي سعى المشروع إلى تحقيقها داخل المجتمع الجزائري؟

أولا- انعكاسات السياسة الفرنسية على المجتمع الجزائري:

وللوقوف على الدور الذي قامت به جمعية العلماء داخل المجتمع الجزائري من خلال مشروعها التربوي كان لابد من استحضار الانعكاسات التي خلفتها السياسة الفرنسية داخل هذا المجتمع ومختلف الآثار المترتبة عنها.

عمدت إدارة الاحتلال الفرنسي منذ دخولها الي الجزائر إلى تنفيذ سياسة تدميرية، حاولت من خلالها القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية وإدماج المجتمع الجزائري في الثقافة والمجتمع الفرنسي، وقد كان لها انعكاسات جلية على جوانب المجتمع نذكر منها:

- الجانب الاجتماعي والاقتصادي: حيث أحدثت سياسة الاستعمار خللا وشرخا كبيرا داخل البناء الاجتماعي الجزائري، تمثل في تقويض بنية

المجتمع الجزائري التقليدي المتمركز حول وحدة القبيلة التي تتخذ من الأرض المشتركة بين جميع الأفراد أساسا لهذه الوحدة، وهو ما ترتب عنه آثارا مختلفة منها[1].

- ظهور النزعة الفردية وتقلص حجم التضامن الاجتماعي الذي كانت تضمنه الأرض المشتركة وهو ما أدى إلى فتور في مستوى العلاقات الاجتماعية [2].
- ظهور الطبقية بين أفراد المجتمع الجزائري بسبب وضع الاستعمار الفرنسي يده على مقدرات الأرض الجزائرية التي كانت تتيح المساواة في العيش بين أفراد المجتمع حيث أن السياسة التي انتهجتها إدارة الاحتلال بالجزائر أوجدت طبقة إقطاعية تستحوذ على أخصب الأراضي الزراعية في الريف وطبقة رأسمالية تسيطر على النشاط الاقتصادي والمالي والتجاري في المدن، وهناك مجموعة موظفي الادارة الفرنسية وتتشكل أغلب هذه الطبقات من المستوطنين الأوروبيين وبعض أفراد المجتمع المحلي المحظوظين اجتماعيا [3].

أما باقي أفراد المجتمع الجزائري فكانوا يمثلون طبقة من المحرومين والمقصين اجتماعيا من جميع فرص الحياة ومن الوظائف الحكومية، ومن مجموع العاملين في الأراضي والمستثمرات والمزارع التي صودرت منهم وانتقلت الى السيد الجديد، مما جعل العلاقة في أغلبها بينهم وبين هذا المالك علاقة اقطاعية لا يحصلون معها على أية منح عائلية أو خدمات اجتماعية مقابل جهودهم.

- ✓ فقدان أفراد المجتمع الجزائري لمختلف أراضيهم وممتلكاتهم الزراعية والتي كانت تمثل لهم مصدر الرزق الوحيد فقد نشرت مجلة الوثائق الجزائرية وهي مجلة رسمية في سلسلتها الاقتصادية العدد 10 الصادر بتاريخ 17 إيار 1946 ما مردّه أن (نصف مليون عائلة تقريبا لا تملك أي أرض وتؤمن بقمة عيشها بالمحاصصة أو باستئجار الأرض أو بالعمل الزراعي

المأجور، بالواقع فقد أدّي التوزيع الحالي للأرض الى ايجاد طبقة ريفيى واسعة جدا من الكادحين تتميز بحالة معيشية صعبة جدا وغير ثابتة [4].

- ✓ انتشار ظاهرة الفقر بمستويات مرتفعة جدا بين جميع فئات المجتمع الجزائري، وهي ظاهرة لم تكن تعرفها الجزائر سابقا خاصة مع نظام الأوقاف.
- ✓ انتشار ظاهرة المجاعات بين السكان وهي كذلك من الظواهر الاجتماعية التي لم يعرفها المجتمع الجزائري من قبل، والتي ماتت من جرائها أعداد كبيرة من أفراد المجتمع الجزائري، ولقد وصف الكاردينال لا فيجري الحالة التي وصل إليها الجزائريون بأن(عددا كبيرا من العرب لا يعيشون مند عدّة أشهر إلاّ علي عشب الحقول وأوراق الأشجار) [5].
- ✓ انتشار ظاهرة الهجرة الخارجية: حيث أن العديد من العائلات الجزائرية اضطرتها الاوضاع الاقتصادية الصعبة التي كانت توجد عليها والتي لم تعد تضمن معها البقاء علي قيد الحياة الى الهجرة الى خارج الوطن بحثا عن فرص للعمل من أجل تأمين ضروريات العيش الكريم، وقد قامت الادارة الفرنسية بتأزيم هذه الظاهرة من خلال قيامها بنفي عائلات بكاملها خارج الوطن بعد بعض الثورات الشعبية.
- ✓ انخفاض كبير في عدد سكان الجزائر نتيجة للهجرة الخارجية والوفيات والكوارث حيث تقلص عدد السكان الجزائر بين سنة 1830 و1880 من 3 ملايين سنة 1830 هبط 246290 سنة 1876.

ثانيا: الجانب التربوي والثقافي: وأهم الأثار التي خلفتها سياسة الاستعمار على هذا الجانب تمثلت في:

القضاء على المصادر الأساسية لتموين التعليم ومراكز المعرفة كمؤسسة الوقف وصناديق إعانة الطلبة والمعلمين [6].

القضاء على جزء كبير من مراكز التعليم ونشر المعرفة، وهي الملاحظة التي كتب عنها الضابط الفرنسي رين(بأن الغزو الفرنسي جاء نكبة على البلاد الجزائرية فلم يبقى الغزاة على شيء من أماكن التعليم) [(7)].

- اضطراب واضح في الحياة الفكرية والثقافية التي كانت تعيشها الجزائر قبل الغزو الفرنسي.
- هجرة العلماء لوظائفهم الادارية والعلمية وتخليهم على أدوارهم الاجتماعية بفعل الملاحقات والتضييق والنفي وكافة أشكال التهديد والحجر التي كانت تمارسها عليهم إدارة لاحتلال.
- تفشي ظاهرة الجهل والأمية وانتشار البدع والخرافات داخل كافة الأوساط الاجتماعية.
- بداية اختفاء بعض مظاهر الثقافة العربية الاسلامية وظهور اشكال جديد من الثقافة الأوروبية داخل الحياة الاجتماعية الجزائرية.
- بدأت اللكنة الفرنسية تظهر على اللسان الجزائري خاصة في الاماكن الحضرية التي توجد بها العناصر الأوروبية.

النتائج التي خلفتها السياسة التعليمية الفرنسية، حيث لم يصل عدد المقبولين في المدارس الإسلامية أحد أبرز معالم السياسة الفرنسية في الجزائر عاما قبل ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أي سنة 1930 سوي إلى 150 تلميذا حسب الباحث الفرنسي أجرون، وأما المؤرخ الجزائري المهدي البوعبدلي فذكر أنه لم يتخرج من هذه المدارس الى غاية سنة 1880 سوي 14 تلميذا [(8)].

فضلا على أن هذه السياسة أدت الى ظهور نخبة غير متصلة تماما بالدائرة الثقافية لمجتمعها ومتطرفة أحيانا في دعوتها لخدمة أهداف الادارة الفرنسية [(9)].

إن هذه الأثار السلبية التي خلفتها إدارة الاحتلال الفرنسي داخل المجتمع الجزائري، كان يستوجب على جمعية العلماء أن تأخذها بعين الاعتبار عند القيام بتنفيذ مشروعها التربوي.

ثانيا- الأسس العامة للمشروع التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

وهي المنطلقات الفكرية والعقدية والمرجعيات الكبرى التي قامت من خلالها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصياغة مشروعها التربوي داخل المجتمع الجزائري، وقد تمثلت هذه المرجعيات فيما يلي:

1- مقومات الشخصية الجزائرية: وهي تلك المقومات التي صاغت الشخصية الجزائرية عبر مراحلها المختلفة وعبرت عن تفرد الظاهرة الجزائرية، والتي صاغتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في شعارها " الجزائر وطننا والعربية لغتنا والإسلام ديننا "، وأقامت مشروعها التربوي من أجل المساهمة في تعزيزها داخل المجتمع الجزائري، وهي المقومات التي تعبر عن انتماء المجتمع الجزائري.

واعتماد العلماء على مقومات الشخصية الوطنية كمرجعية عامة في بناء مشروعهم التربوي يعود لتصورهم للتربية على أنها لباس يفصل على قامة الشعوب وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة وآدابها المفضلة وأهدافها التي تعيش بها وتموت في سبيلها [10].

وأن التربية التي لا تراعي جميع حاجات الفرد والمجتمع وحقيقته التاريخية وآماله المستقبلية هي تربية فاقدة لأهم مبرراتها [11].

وأول هذه المقومات هي:

العقيدة الإسلامية: وهي الرؤية الإسلامية للكون والحياة والإنسان وأول أولويات هذه العقيدة هو ربط المجتمع بالقرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم بوصفهما المصادر الأساسية لهذه العقيدة وقد كتب ابن باديس على ذلك أنه(لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب الذي نذوقه ونقاسيه إلّا بالرجوع إلى

القرآن، إلى علمه وهديه وبناء العقائد والإحكام عليه والتفقه فيه وفي السنة النبوية شرحه وبيانه)، وذلك يعود إلى أن(القرآن العظيم أنزله الله تعالى هداية عامة لجميع البشر لما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية بتنوير العقول وتزكية النفوس وتقوية الأعمال وإصلاح الأحوال وتنظيم الاجتماع البشري على أكمل نظام وإن كل من خالفه فهو ضال) [12].

ويعود هذا التأكيد الشديد على بناء المشروع التربوي على العقيدة الإسلامية ومصادرها الأساسية للأسباب التالية:

- أن العلماء الذين كانوا يقومون بهذا المشروع التربوي هم علماء شرعيون متأثرون بالفلسفة القرآنية التي وجدوا أنها تتوفر على جميع الخصائص التي من شأنها النهوض بالمجتمع الجزائري ومنها:

  - ✓ قدرة العقيدة على ربط التربية بمقومات المجتمع، وهو الخاصية التي أشار إليها أحد التربويين بأن(جعل العمل نابغا من العقيدة، والعقيدة أساس لكل فعل إنما يؤكد أهمية ربط التربية بمعتقدات الأمة، وكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تركز على هذا الجانب وتؤكد عليه وهو أهمية ربط التربية بعقيدة الأمة) [13].
  - ✓ قدرة العقيدة على إحداث التغيير الداخلي التي تؤكد عليه الجمعية كفلسفة في الإصلاح حيث أن(التغيير الاجتماعي إنما يبدأ من الداخل، أي من داخل النفس وذلك بتغيير الأنماط العقائدية والمعيارية والقيمية والفكرية للإنسان فإذا ما تغير ذلك فانه ينعكس على السلوك الخارجي للفرد والمجتمع على سواء) [14].
  - ✓ وهو ما يذهب إليه الدكتور نبيل توفيق السمالوطي بأن العقيدة تعد الموجه الأساسي لسلوك الفرد، حيث تتحول إلى موجهات قيمية تترجم إلى واقع سلوكي فالمعتقدات هي التي تحكم وتصبغ وتحدد القيم وهذه الأخيرة هي التي تحدد مسارات السلوك وتضبطه وتحكمه وتوجهه [15].

وإن العلماء من خلال التركيز على العقيدة الدينية كانوا يسعون إلى توفير الشرط الأساسي للتركيب الضروري لعناصر الحضارة الذي يجعل منها قادرة على الحركة وقد أشار بن نبي إلى(أن القوى الروحية هي التي تجعل من النفس المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني) (16).

بل إن مالك بن نبي يؤكد على أن الشرط الأساسي لتطور الإنسانية هو النمو في مشاعرها الدينية حيث يذكر(أن تطور الإنسانية هو ما يحدث من نمو في مشاعرها الدينية المسجلة في واقع الأحداث الاجتماعية تلك التي تطبع حياة الإنسان وعمله على وجه البسيطة) (17).

ولقد أشار إلى فاعلية العقيدة الإسلامية في خلق الإرادة داخل المجتمع حتى العلماء غير المسلمين على غرار قسطنطين زريق المسيحي الأرثوذكسي الذي كتب بأن(القومية العربية هي العقيدة التي نفتقر إليها فهي تولد الإرادة في خلق مجتمع والمحافظة عليه ثم بين أن هذه العقيدة التي يستمد منها المجتمع العربي وحيه لا يمكن أن يكون إلا الإسلام) (18).

قدرة العقيدة الإسلامية على تشكيل الضمير الجمعي للمجتمع وذلك لأن العقيدة لا تسهم فقط في صياغة الشخصية المتماسكة بل تسهم كذلك في تحقيق تماسك الجماعة وتحقيق التكامل والقوة بين أبناء العقيدة الواحدة نتيجة لوحدة المنطلق ووحدة الهدف (19).

ولقد لخص الدكتور محمد حسن العمايرة أهمية بناء مشروع تربوي انطلاقا من فلسفة القرآن في النقاط التالية:

- ✓ أن الاعتماد على المصادر الإسلامية في بناء مشروع تربوي يجعل حاضر المسلمين مرتبطا بماضيهم، وفيه التأكيد على الشخصية الثقافية التربوية الإسلامية، ولأن الإسلام يمتلك من المرونة في قواعده ومبادئه العامة المتعلقة بتنظيم الحياة البشرية في جميع مجالاتها ما يجعله صالحا لكل مكان وزمان.

- ✓ أن النظام التعليمي بكل مكوناته هو جزء من حضارة وثقافة أية أمة وأداة فعّالة لتخليد وتطوير وتجديد حضارة وثقافة هذه الأمة، ولذا فإن الأمة التي تريد أن تحافظ على كيانها وعلى شخصيتها الحضارية والثقافية، لابد أن تربط تعليمها بثقافتها وحضارتها، وتحرص على أصالتها وتربط حاضرها بماضيها ولا تلجا إلى التقليد الأعمى.
- ✓ يسمح ربط التعليم في المجتمع الإسلامي بالأصول والمصادر الإسلامية بالعمل على إبراز العلاقة التي تربط بين الدين وواقع الحياة وبمشاكلها ومناشطها، ويقوي الشعور بين النشء المسلم.
- ✓ يعزز ربط التعليم الإسلامي بالإسلام والثقافة الإسلامية على تقريب المجتمعات الإسلامية مع بعضها البعض، ويمهد السبيل إلى مزيد من التكامل والتضامن بينها، ويعمل على حماية هذه المجتمعات من الضياع ومن الاعتماد على غيرها في شتى المجالات [(20)].

هذا وينبغي أن نشير إلى أن المنهج الذي يعتمد على إعطاء الأولية في العمل النهضوي و الإصلاحي إلى الجانب ألعقيدي قبل غيره أصيل في تراثنا وحضارتنا، فقد قامت الدعوة الإسلامية على أساسه ثم أخذ به جميع من انشغل بالعمل الإصلاحي [(21)].

وأن أعلام الإصلاح في القديم والحديث ينظرون نظرة واحدة إلى فاعلية الزاد الروحي في عملية البناء الحضاري ويعتقدون في الوقت ذاته بأن الفقر في هذا الجانب من أكبر العوامل فيما تعانيه البشرية من أمراض مختلفة وانحراف في السلوك ووهن في الفاعلية الاجتماعية [(22)].

-2. **اللغة العربية**: التي عبر عنها ابن باديس بأنه لا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر والمستقبل السعيد إلاّ هذا الحبل المتين، اللغة العربية لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة، إنها الوحدة الرابطة بيننا وبين ماضينا

وهي واحدة المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا وبها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا وأحفادنا الغر الميامين أرواحهم بأرواحنا [23].

1-3.الوطن الجزائري: ويأخذ مفهوم الوطن في فكر الجمعية مفهوم الوجود المعنوي ومجمل الروابط الثقافية والاجتماعية التي صاغت أفراده في قلب واحد عبر عصور من الزمن، كما يأخذ مفهوم الوعاء الطبيعي الذي شمل جميع تلك الأحداث.

ويمثل الوطن بذكرياته التاريخية بما فيها من انتصارات وهزائم وبما فيها من عزة ومدلة وبما فيها من نجاح أو إخفاق، غذاء يغذي أفراد الأمة بالوعي الاجتماعي ويدعم شعورهم بالوحدة و التماسك ويشحذ عزائمهم بالقوة والصلابة ويحفزهم على الوقوف صفا واحدا في ساعة الخطر المحدق بهم أو بوطنهم [24].

2- الإمكانيات المادية والتقنية والبشرية المتاحة أمام المشروع التربوي(الأسس المادية):

إن وجود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت حكم الاستعمار الأجنبي الذي كان يرى في مشروعها التربوي مشروعا مناهضا لسياسته الاستعمارية داخل المجتمع الجزائري وخطرا يحدق بوجوده، جعله يعمل من أجل الحيلولة أمام تحقيق أهداف المشروع التربوي عن طريق وضع العديد من العراقيل والمضايقات.

كما أن مشكلة مصادر التمويل التي من شأنها التكفل بنفقات المشروع التربوي كبناء المدارس وتجهيزها بالوسائل التربوية وتوفير الكتب اللازمة وغيرها كانت من أكبر العقبات المادية التي تواجه المشروع التربوي وكان يستوجب مراعاتها عند تنفيذه.

هذا وقد شكلت الوضعية الاقتصادية التي يوجد عليها المجتمع الجزائري الذي صودرت أراضيه وأملاكه وأصبح يعيش فقرا وحرمانا اجتماعيا كبيرا حرجا

أمام القائمين على المشروع التربوي الذي يعقدون أمالا على هذا المجتمع لاحتضان مشروعهم.

وزادت مشكلة قلة الإطارات البشرية التي يمكنها القيام بالمشروع التربوي خاصة في المواد الرياضية والعلمية واللغات الأجنبية من الصعوبات التي يواجهها المشروع، ولذلك كان على علماء الجمعية ضرورة مراعاة كل هذه النقاط والتي نوجزها فيما يلي: مضايقات وعراقيل الإدارة الفرنسية، نقص الإطارات البشرية، مشكلة مصادر التمويل، نقص مؤسسات التعليم، ونقص الوسائل التعليمية، والوضعية الاقتصادية الصعبة لأفراد المجتمع الجزائري.

3- **فاعلية العامل التربوي في إحداث التغيير الاجتماعي:** لقد كان القائمون على المشروع التربوي يؤمنون بقدرة العامل التربوي على لعب دور أساسي في الانتقال بالمجتمع الجزائري من الوضع الاجتماعي الذي يوجد عليه ويعطل حركته وفاعليته إلى الوضع الذي يستطيع من خلاله التحكم في قدراته وتوجيه نشاطات أفعاله بما يضمن بقاءه واستمراره، ولقد برر ابن باديس اختياره لهذا المنهج(بأنه أساس النهوض بالشعوب والأمم) (25)، وأنه(كما تحتاج الأبدان إلى غذاء من المطعوم والمشروب كذلك تحتاج العقول إلى غذاء من الأدب الراقي والعلم الصحيح ولا يستقيم سلوك أمة وتنقطع الرذيلة من طبقاتها وتنتشر الفضيلة بينها إلا إذا تغذت عقول أبنائنا بهذا الغذاء النفيس) (26).

بل إن ابن باديس يعد العلم في طليعته مدلول القوة وأنه سلاح عتيد (27).
ونجد من الذين يؤكدون على فاعلية العامل التربوي ودوره في إحداث عملية التغيير الاجتماعي ويدعمون هذا المنهج الذي سلكته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الفيلسوف محمد إقبال بقوله: إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرا من أي مادة كيميائية، وهو الذي يستطيع أن يحول جبلا شامخا إلى كومة التراب (28).

ويعلل الدكتور مصطفى باجو سير ابن باديس وجمعيته إلى اعتماد العمل التربوي أساسا للعمل الإصلاحي ومدخلا للتغيير الاجتماعي والثقافي والنهوض الفكري والسياسي إلى قناعة العلماء الراسخة بأن أخطر آفة تصيب الأمة وتقتضي على كيانها هو الجهل فهو الذي يولد الفقر والفقر يولد التبعية والتبعية تمحو الشخصية وتقضي علي الكيان (29).

و أن توظيف التربية كمنهج في التغيير الاجتماعي يعمل على نشر الوعي السياسي وبلورة الفكر الاجتماعي وتفتح الذهنية العامة أمام المصالح العامة ومراقبة الشؤون السياسية، وإلى ذلك يهدف الحديث الشريف " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " ومن الطبيعي أن هذا الوعي إنما يتم في المجتمع الإسلامي إذا ازدهرت حياته الفكرية والعلمية وأما إذا شاع الجهل فإن الوعي الأصيل لابد أن يتلاشى وأن الأزمات الخطيرة التي منى بها العالم الإسلامي في كثير من مراحل حياته إنما كانت من النتائج المباشرة للانحطاط الفكري والاجتماعي، وهو الذي جعل الدكتور عشراتي يقول: بأن ابن باديس المفكر الاستراتيجي كان يدرك أن التثقيف الديني والتربية الأصيلة يكفلان لا محالة للشعب أن يسترد ما سكت عنه أو ما بدا أنه تنازل عنه في مرحلة ما متى استحكم الوعي وعم التعليم المفيد واتسعت دائرته الإصلاحية والاجتماعية والبشرية (30).

ثالثا- أهداف المشروع التربوي لدى الجمعية:

ينبغي أن نشير إلى أنه لم تكن هنالك أهداف متعددة في المشروع التربوي الذي قاده العلماء المصلحون وإنما كان له هدف واحد متعدد الفروع والوجوه هذا الهدف تمثل في إنقاذ الشخصية الجزائرية مما سقطت فيه من ضياع وانهيار حضاري شامل عل كافة المستويات وهذا العمل لم يكن ليتم إلاّ بالعمل على إحياء ما تبقى من مقومات الشخصية الوطنية (31).

□

فالعمل على إنقاذ الشخصية الجزائرية عن طريق العمل على إحياء مقوماتها مثّل إذا الهدف الأساسي لمشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التربوي.

ويعتبر هذا الهدف الفصل الحكم في أهداف الجمعية والعنوان الأبرز الذي ما ذكر في تاريخ الجزائر إلا وتذكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ففي خطاب للشيخ محمد البشير الإبراهيمي بين فيه(بأن جمعيتكم هذه أسست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة وهما إحياء الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية) (32).

وجاء في سجل الجمعية الذي ضم تقارير مؤتمرها العام أن هدف الجمعية يتمثل في(تعليم الدين الإسلامي واللغة العربية والدعوة والترغيب فيها) (33)، وفي مقال للشيخ الطيب العقبي بعنوان نهضة الجزائر ودعوتها الإصلاحية بين فيه أن(هذه الدعوة جاء ت لإصلاح ما أفسد الناس من أمر دينهم) (34).

ومن أجل تحقيق هدفها في إنقاذ مقومات الشخصية الجزائرية قامت جمعية العلماء بوضع جملة من الأهداف الفرعية التي تساهم عن طريق تكاملها الوظيفي في خدمة هذا الهدف، نذكر منها:

- ✓ **الدعوة إلى مكارم الأخلاق**: حيث كتب ابن باديس على الشهاب(أن الجمعية يجب أن لا تكون إلا جمعية هداية وإرشاد لترقية الشعب من وهدة الجهل والسقوط الأخلاقي إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق) (35)، وبين سجلها العام أن من أهداف الجمعية(الدعوة إلى مكارم الأخلاق التي حض الدين والعقل عليها) (36).

أما القانون الداخلي للجمعية فقد جاء فيه تحت عنوان الفصل الثالث مقاصد الجمعية وغايتها وأعمالها، المادة 65: أن أول مقاصد الجمعية طائفة العلماء والطلبة باستعمال كل الوسائل لحملهم على التخلق بالأخلاق الإسلامية،

وقد ذكر الشيخ محمد البشير الابراهيمي أن الجمعية تسعى(لبذل مجهودات قوية لرفع درجة الأخلاق عندنا) [37].

2- **محاربة الآفات الاجتماعية**: وهي كذلك من بين الأهداف التي كان المشروع التربوي يسعي من خلالها إلي تعزيز القيم الإسلامية داخل المجتمع الجزائري، حيث بين ابن باديس أن(القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والخمور، وكل ما يفسد على الناس عقولهم أو يضيع عليهم أموالهم فهو من الآفات) [38].

أما سجل الجمعية فقد ذكر أن من بين أهداف الجمعية(محاربة الرذائل الاجتماعية التي قبح الدين اقترافها وذم مقترفيها) [39].

ولتحقيق هذا الهدف والوصول إليه قامت الجمعية بإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد جاء في المادة 67 من قانونها الداخلي: تتذرع الجمعية بكل الذرائع لإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجهها الديني [40].

- **توحيد جهود العلماء الجزائريين لخدمة لغتهم ودينهم**: فقد كتب الإمام الإبراهيمي أنهم لم يكونوا يقصدون من هذه الجمعية من يوم تصورها فكرة إلى يوم بروزها حقيقة واقعة إلا غرضا واحدا وهو جمع القوى الموزعة من العلماء على اختلاف حظوظهم في العلم لتتعاون عل خدمة الدين الإسلامي واللغة العربية والنهوض بالأمة الجزائرية [41].

4- **نشر وإحياء الآداب والثقافة الإسلامية**: حيث يذكر الشيخ محمد العابد الجلالي أحد علماء الجمعية أن الهدف من مشروعهم التربوي هو أن نحي في نفوس أبنائنا وبناتنا الآداب الإسلامية [42].

وأما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فذكر أن الجمعية تسعى إلى تكوين شباب مثقف ومتشبع بالثقافة الإسلامية العربية [43].

5- **نشر العلم وتحرير العقول والقلوب**: وهو ما صرح به الإمام عبد الحميد ابن باديس رحمه الله(بأن جمعية العلماء تعمل لنشر العلم والفضيلة وتحرير العقول والقلوب والتسوية بين الناس في العدل والإحسان وتعمل لهذا في صدق وصراحة وتتحمل في سبيله كل بلية) (44).

و ذكر الإمام محمد البشير الإبراهيمي أن هدف الجمعية يتمثل في(التعليم والدعوة إلى العلم والترغيب فيه وتمكينه في النفوس) (45).

وفي خطاب لرئيس الجمعية ألقاه على إدارتها يوم تأسيسها بمناسبة تزكيته رئيسا عليها قال فيه أنكم(أردتم أن ترمزوا بانتخابي إلى تكريم التعليم إظهارا لمقصد من أعظم مقاصد الجمعية)، وبين لهم(بأن جمعيتكم جمعية علمية دينية تدعوا إلى العلم النافع ونشره وتعيين عليه، وتدعوا إلى الدين الخالص وتبينه وتعمل لتثبيته وتقوية وازعه في نفوس هذه الأمة، فوظيفتها هي وظيفة المعلم المرشد الناصح في تعليمه وإرشاده) (46).

6- **تأسيس كلية علمية إسلامية**: وذلك من أجل تخريج المعلمين الذين يعملون علي نشر اللغة العربية والقيم الإسلامية وتثبيت دعائمهم داخل المجتمع الجزائري، وقد صرح ابن باديس أن من مقاصد الجمعية تأسيس الكلية العلمية الإسلامية الجزائرية التي في عزم الجمعية السعي إلى تأسيسها (47).

حتى يتخرج منها رجال فقهاء الذين يعلمون الأمة أمر دينها وأستطيع أن أقول أن نواة هذه الكلية هم الطلاب الذين يريدون على الجامع الأخضر بقسنطينة (48). وجاء عن هذا الهدف في القانون الداخلي للجمعية، تحت عنوان المادة 81، أنه من غايات الجمعية النبيلة تأسيس كلية دينية عربية (49).

7- **إرسال البعثات العلمية للخارج لمواصلة تعليمها العالي**: وذلك من أجل العمل علي توفير كفاءات متخصصة والتغلب علي مشكلة نقص الإمكانيات التي تسمح لهم بمواصلة تعليمهم داخل الجزائر، وقد ضّح الشيخ عبد الحميد ابن باديس أنه من

بين أهداف الجمعية هو إرسال التلامذة من أبناء الجزائر لمواصلة تعليمهم ودراستهم في المعاهد خارج الجزائر [50].

الخاتمة:

إن المشروع التربوي الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين مثّل تجربة تربوية رائدة في تاريخ الجزائر المعاصر، من خلال مساهمته الفعّالة في إنقاذ وحماية مقومات الشخصية الجزائرية من الطمس الاستعماري.

وأن جوهر الفعالية التي كان يتميز بها المشروع التربوي قد تأتت بالأساس من الفهم العميق لخصوصيات المجتمع الجزائري الثقافية والاجتماعية التي جعلها منطلقا في عملية بنائه.

كما أن التوافق والانسجام الموجود بين الأسس التي كان يقوم عليها المشروع والأهداف التي كان يسعي إلى تحقيقها، قد ترك المشروع التربوي يلقي قبولا اجتماعيا ويحقق له تأثيرا داخل المجتمع الجزائري.

❖ هوامش البحث

(1) أنظر الفصل الأول: **الأبعاد التاريخية لتشكيل المجتمع الجزائري (القرن السادس إلى غاية 1962) في**: زمام نور الدين، السلطة والخيارات التنموية بالمجتمع الجزائري 1962-1998، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2002.

(2) محمد السويدي، **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، (د م ج)، الجزائر، 1984، ص 76.

(3) رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر**، ط5، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2001، ص44.

(4) عبد اللطيف بن أشنهو، **تكون التخلف في الجزائر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979،ص346.

(5) صالح عباد، **الجزائر بين فرنسا والمستوطنين، (د م ج)**، الجزائر، (د ت)، ص 58.

(6) حمدان خوجة، المرآة، **تعريب العربي الزبيري**، منشوراتANEP، الجزائر، 2006، ص 98.

(7) على ديدونة، **المنظومة التربوية بين الأصالة والاستئصال**، دار بوزيد، الجزائر, 2006، ص 182.

(8) نفس المرجع، ص194

(9) نور الدين زمام، **حول سوسيولوجية المثقف الجزائري**، المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد الأول 2008، بيروت، ص131.

(10) أبو الحسن الندوي، **نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية**، ط5، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص70.

(11) عباس مدني، **مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية**، دار الشهاب، باتنة، 1986، ص10.

(12) ابن باديس، **العقائد الإسلامية**، رواية وتعليق محمد الصالح رمضان، دار الفتح، الشارقة، 1995، ص100.

(13) عباس محجوب، **أصول الفكر التربوي في الإسلام**، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2006، ص226.

(14) على أحمد مدكور، **منهج التربية في التصور الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002، ص226.

(15) نبيل توفيق السمالوطي، **بناء المجتمع المسلم ونضمه**، ط 2، دار الشروق، جدة، 1988 ، ص23.

(16) مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ط6، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر ، دمشق، 2006، ص6.

(17) المرجع السابق، ص16.

(18) برهان زريق، **المشروع الحضاري العربي الإسلامي**، دار كنعان، دمشق،2007، ص78.

(19) نبيل توفيق السمالوطي، مرجع سبق ذكره، ص25.

(20) محمد حسن العمايرة، **الفكر التربوي الإسلامي**، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2009، ص(22-23).

(21) محمد بن سمينة، **من إسهامات الإبراهيمي في النهضة**، مجلة الموافقات، العدد 4، السنة 4، محرم 1416/ جوان 1995، المعهد العال لأصول الدين، الجزائر، ص500.

(22) المرجع السابق، ص 508.

(23) ابن باديس، **الآثار**، ج4، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1985، ص 148.

(24) رابح تركي، **التربية والشخصية الوطنية**، المجلة الجزائرية للتربية، العدد 1، السنة1، نوفمبر، 1994، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ص24.

(25) محمد الصالح الصديق، **المصلح المجدد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله**، (د م ج)، الجزائر، 2009، ص23.

(26) محمد الميلي، **ابن باديس وعروبة الجزائر**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2012، ص147.

(27) محمد قرصو، عبد **الحميد ابن باديس نصوص مختارة**، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر، الجزائر، 2010، ص41.

(28) أبو الحسن الندوي، مرجع سبق ذكره، ص31.

(29) مصطفى باجو، **قراءة في معالم فكر الإمام عبد الحميد ابن باديس، مجلة الوعي**، العدد1، رجب – شعبان 1431 / جويلية 2002، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ص49.

(30) عشراتي سليمان، **عبد الحميد ابن باديس**، ج2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2010، ص 110.

(31) مسعود فلوسي، **الإمام عبد الحميد ابن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده**، دار قرطبة، 2006، الجزائر، ص87.

(32) محمد البشير الإبراهيمي، **الآثار**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص133.

(33) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام بنادي الترقي بالعاصمة، دار الكتب، الجزائر (د ت)، ص88.

(34) السنة النبوية المحمدية، العدد2، ذي الحجة1301/ 18 أفريل 1933، قسنطينة، ص1.

(35) محمد قرصو، مرجع سبق ذكره، ص 21.

(36) السجل، مرجع سبق ذكره، ص87.

(37) محمد البشير الابراهيمي، مرجع سبق ذكره، ص52.

(38) محمد قرصو، مرجع سبق ذكره، ص29.

(39) السجل، مرجع سبق ذكره، ص77.

(40) محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سبق ذكره، ص85.

(41) السجل، مرجع سابق، ص55.

(42) قسم إحياء تراث الجمعية، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص91.

(43) محمد البشير الابراهيمي، الآثار، ج2، مرجع سابق، ص453

(44) محمد الصلح الصديق، مرجع سابق، 114.

(45) السجل، مرجع سبق ذكره، ص87.

(46) المرجع السابق، ص164.

(47) عبد الحميد ابن باديس ، مرجع سبق ذكره، ص256.

(48) المرجع السابق، ص97.

(49) محمد البشير الابراهيمي، الآثار، ج1، مرجع سبق ذكره، ص88.

(50) عبد الحميد ابن باديس، **الآثار**، ج6، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1994، ص229.